

تفسير البحر المحيط

@ 134 @ .

{ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } يحتمل أن تكون الجملة داخله تحت الاستدراك ويحتمل أن تكون استئناف إخبار ، والظاهر الأول فيكون الحامل على ترك التضرع فسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي كان الشيطان سبباً في تحسينها لهم . .
{ فَلَمَّ نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ } أي فلما تركوا الاتعاظ والازدجار بما ذكروا به من البأس استدرجناهم بتيسير مطالبهم الدنيوية وعبر عن ذلك بقوله : { فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ } إذ يقتضي شمول الخيرات وبلوغ الطلبات . .

{ حَتَّى إِذَا فَرَغُوا بِمَا آوْتُوا أَخَذْنَا مَا لَهُمْ بَغْتَةً } معنى هذه الجمل معنى قوله { وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ نَمُنَّ مَا نُمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَّانفُسِهِمْ } { إِنَّ نَمَلَنَا نُمَلِي لَهُمْ لِيَزِدَّادُوا } وفي الحديث الصحيح عن عقبه بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا رأيتم الله تعالى يعطي العباد ما يشاؤون على معاصيهم فإنما ذلك استدراج منه لهم ثم تلا { فَلَمَّ نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ } الآية ، والأبواب استعارة عن الأسباب التي هيأها الله لهم المقتضية لبسط الرزق عليهم والإبهام في هذا العموم لتحويل ما فتح عليهم وتعظيمه وغياً الفتح بفرحهم بما أوتوا وترتب على فرحهم أخذهم بغتة أي إهلاكهم فجأة وهو أشد الإهلاك إذ لم يتقدم شعور به فتتوطن النفس على لقائه ، ابتلاهم أولاً بالبأساء والضراء فلم يتعظوا ثم نقلهم إلى ما أوجب سرورهم من إسباغ النعم عليهم فلم يجد ذلك عندهم ولا قصدوا الشكر ولا أصغوا إلى إنابة بل لم يحصلوا إلا على فرح بما أسبغ عليهم . قال محمد بن النضر الحارثي : أمهل هؤلاء القوم عشرين سنة . .

{ فَإِذَا هُمْ مَّيْلَسُونَ } أي باهتون بائسون لا يخبرون جواباً . وقرأ ابن عامر فتحنا بتشديد التاء والتشديد لتكثير الفعل وإذا هي الفجائية وهي حرف على مذهب الكوفيين وظرف مكان ، ونسب إلى سبويه وظرف زمان وهو مذهب الرياشي والعامل فيها إذا قلنا بظرفيتها هو خبر المبتدأ أي ، ففي ذلك المكان { هُمْ } مَّيْلَسُونَ أي مكان إقامتهم وذلك الزمان { هُمْ } مَّيْلَسُونَ { وأصل الإبلال الإطراق لحلول نقمة أو زوال نعمة . قال الحسن : مكتئبون . وقال السدي : هالكون . وقال ابن كيسان : وقطرب : خاشعون . وقال ابن عباس : متحIRON . وقال الزجاج : متحسرون . وقال ابن جرير : الساكت عند انقطاع الحجة .

{ فَاقْطِيعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا } عبارة عن استئصالهم بالهلاك
والمعنى : فقطع دابريهم ونبه على سبب الاستئصال بذكر الوصف الذي هو الظلم ، وهو هنا
الكفر والدابر التابع للشيء من خلفه يقال : دبر الوالد الولد يدبره ، وفلان دبر القوم
دبوراً ودبراً إذا كان آخرهم . وقال أمية بن أبي الصلت : % (فاستؤصلوا بعذاب خص
دابريهم % .

فما استطاعوا له صرفاً ولا انتصروا .

%)